التجديد والتجويد

تجديد الدين وتجويد التدين

أحمد الريسوني

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

تقديم

يتناول هذا الكتيب قضيتين مترابطتين متكاملتين هما:

- **قضية الدين ومدى حاجته إلى التجديد،**
- **وقضية التدين ومدى حاجته إلى التجويد.**

فأما (تجديد الدين) فأصل الكلام فيه ومداره على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، الذي سيأتي بيانه لاحقا.

وأما (تجويد التدين) فهو في الحقيقة نوع من تجديد الدين وجانب منه، ولكن المتحدثين في موضوع التجديد ومضامينه ومتطلباته لا يكادون يلتفتون إلى هذا الجانب الذي أسميته (تجويد التدين)، ويسميه البعض (ترشيد التدين). فلذلك رأيت إبراز هذا العنصر وإفراده بالبيان ولفت الأنظار. وأعني بالتدين هنا تدين عامة المسلمين ونمط ممارستهم لدينهم.

وعلى هذا فقد جاء هذا الكتيب في فصلين: أحدهما عن التجديد، والآخر عن التجويد.

وبالله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا منه سبحانه.

الرباط في 5شوال1434هـ / 12غشت2013م

الفصل الأول:

تجديد الدين

الدين بين الاندثار والازدهار[1]

قبل أربعة عقود، وفي مثل هذه الأيام من شهر ذي الحجة، كنت أجلس مع صديقي الملحد... – ونحن يومئذ تلاميذ بالثانوية المحمدية بمدينة القصر الكبير – وإذا به يبادرني بقوله: ألا ترى أن عيد الأضحى يتسبب كل سنة في نكبة اقتصادية وخسارة فادحة للثروة الحيوانية؟.

نظرت إليه وهو يمص سيجارته، وقلت له متهكما: وهذه السجائر التي تستهلكها أنت وأمثالك، أليست كارثة وخسارة حقيقية بجميع المعاني؟

واستمر النقاش بيننا واحتد، وأسمعني صديقي ما عنده وأسمعته ما عندي، ثم مضى كل منا في طريقه...

كنا يومها مجموعة من الأصدقاء المتألقين على صعيد مدرستنا الثانوية، وكنا مثقفين ومسيسين في وقت مبكر من أعمارنا. لكننا في النهاية انقسمنا إلى مجموعتين: مجموعة مؤمنين، ومجموعة ملحدين. وطالت المناظرات والسجالات في لقاءاتنا لعدة سنوات، إلى أن تفرقنا في الجامعات ودروب الحياة.

في ذلك الوقت كان أصدقاؤنا الملحدون، ومِن ورائِهم بعض الأساتذة المغربيين والفرنساويين، يقصفوننا وسائرَ التلاميذ، بوابل من المقولات المزلزِلة، خاصة تلك الصادرة عن فلاسفة مشاهير يقام لهم ويقعد. فهذا نبي الاشتراكية العلمية كارل ماركس يطلق مقولته المدوية: "الدين أفيون الشعوب"، وهذا فريديريك نيتشه الفيلسوف المتمرد يعلن "موت الإله"، وأنه على ذلك من الشاهدين. وذاك تشارلز داروين "يكتشف" أن الإنسان ليس سوى حيوان متطور تطورا طبيعيا، ويقرر بناء على ذلك بطلان عقيدة الخلق والمخلوق والخالق ...

كان عدد من فلاسفة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والنصفِ الأولِ من القرن العشرين، يسيرون في هذا الاتجاه، ويعلنون موت الإله ونهاية الأديان، وبداية عصر ألوهية الإنسان، الذي أصبح الإله الفعلي الوحيد في هذا الكون. ثم يأتي بعض أصحابنا

[1] - – أصل هذه الفقرة مقال كتب ونشر في أوائل شهر ذي الحجة 1433/ أكتوبر 2012

يلهثون وراءهم ويرددون صداهم... وكان أبرزهم وأجرأهم في ذلك هو الكاتب المصري سلامة موسى، الذي سَوَّق في كتاباته كل الأفكار والنظريات الإلحادية السائدة في أوروبا. ولما ألف نجيب محفوظ روايته الشهيرة (أولاد حارتنا)، اعتبرها بعض النقاد بمثابة الإعلان العربي عن موت الإله، وأنها لأجل ذلك استحقت جائزة نوبل للآداب عن سنة 1988.

ثم جاء دور الشاعر السوري أدونيس – واسمه الحقيقي"علي أحمد سعيد إسبر" – الذي خاطب جمهوره ذات يوم قائلا: "لم يعد لله ما يقوله لنا". أي أن الله والدين لم يبق لهما دور، ولم يبق لهما مكان في عالم اليوم.

ثم دار الزمان سريعا، فإذا أدونيس هذا يتحدث مؤخرا لقناة "سي إنْ إنْ" الأمريكية، حول الربيع العربي وما يجري في سوريا خاصة، فقال: "يشكل الدين والشعر المحور العصب الرئيسي لثقافتنا، ولكنهما كانا بحالة صراع على الدوام، وللأسف فإن الدين اليوم يتغلب على الشعر".

هل الدين في حالة صراع مع الشعر، كما يرى صاحبنا، أو هو في صراع مع الفكر الإلحادي؟ أم أن الشعر كله حل في شاعرنا العتيد، وأن أدونيس هو الشعر نفسه؟

وسواء كان الدين يتغلب اليوم على الشعر، أو على الإلحاد واللادينية، فالمهم أن أدونيس الذي أعلن بالأمس أن "الله لم يعد له ما يقوله لنا"، هو نفسه الذي يتأسف ويعترف أن "الدين اليوم يتغلب...".

والحقيقة أن الدين متغلب على الدوام، حتى في أزهى فترات الإلحاد. فنحن حين نتحدث عن الإلحاد والملحدين، إنما نتذكر أسماء محدودة ونظريات محددة، وربما قرأنا عن أقطار معينة، قد يكون فيها اليوم من الإلحاد واللادينية أكثر مما فيها من الإيمان والتدين. ولكن ما موقف البشرية كلها؟ وأين شعوب الأرض من هذا وذاك؟ أين ملايين العلماء والعقلاء والمثقفين والمفكرين؟

ونحن في المغرب أيضا، نسمع بين الفينة والأخرى عن شباب لادينيين ينشطون على شبكة الإنترنت، بعضهم يرفعون شعار: "ما صايمينش"، وآخرين – أو هم أنفسهم

– يقولون: "ما مصلييناش"، وهم كذلك يعلنون: "ما معيدينش"...[1]، ولكن هذا الصيحات كلَّها لم تخفف من الاكتظاظ في المساجد المغربية، ولم تغير شيئا من نمط الحياة في رمضان، ولم تؤد إلى بوار الأكباش أو انهيار أسعارها في الأسواق.

وقبل سنوات تحدثَتْ بعض الصحف المغربية عن شخص مغربي الأصل، وهو لاجئ بأوروبا، أعلن أنه شرع في ترجمة القرآن الكريم إلى العامية المغربية، بغية تجريده من قداسته ومن هالته العربية الفصحى، التي هي ميزته وعنصر قوته الوحيد في نظره... وقد اتصل بي يومها أحد الصحفيين يسألني عن مدى خطورة هذا الأمر وعن تداعياته المحتملة، ويطلب مني الرد عليه... فقلت له ما معناه: هذه فقاقيع وبالونات أطفال لا اقل ولا أكثر، وعما قريب سيختفي خبرها وأثرها، ويبقى القرآن هو القرآن والدين هو الدين.

ولقد نسي هذا المترجمُ العاميُّ، أن القرآن مترجم فعلا إلى كل لغات الأرض المنتشرة، ولم يؤثر ذلك على قداسته ومكانته وهالته عند أهل تلك اللغات، وأن الذين يحفظونه ويتلونه من غير العرب هم أكثر بكثير من العرب، وهؤلاء لم تجذبهم إليه لا فصاحته ولا بلاغته ولا هالته البيانية.

وظيفة الدين اليوم؟

بعض الحداثيين اللادينيين يسلِّمون – على مضض – بأن الدين واقع لا يرتفع، لكنهم يعتبرونه مجرد بضاعة متجاوَزة فاقدةٍ للصلاحية، أو أنها مثل الطب الشعبي والأدوية الشعبية، لا يستعملها إلا من لا يحسنون استعمال الأدوية الحديثة، أو لا يستطيعون دفع كلفتها. وهم يرون أن المنتوج الديني أصبح بدون جدوى في زمن الحداثة والثقافة، ومع وجود قوانين منظمة لكل شؤون الحياة، وأن منطق الحلال والحرام لا معنى له في عصر الحريات، وفي ظل دولة الدستور والقانون والمؤسسات...

والحقيقة أن هذا الكلام كان يمكن أن تقوم له قائمة ما، لو أن الإسلام – أو الدين عموما – كان محصورا في الأميين الجهال دون المثقفين والعلماء والمتعلمين، أو لو

[1] – بمعنى أنهم يرفضون الصلاة والصيام وعيد الأضحى، أي يرفضون الدين والتدين.

أنه كان محصورا في الفقراء والمساكين دون الأغنياء والميسورين، أو لو أن الدين كان يختفي حيثما انتشر الطب والعلم الحديث... ولكن شيئا من هذا لم يقع.

يوم أمس فقط (وهو يوم عيد الفطر لسنة1434هـ)، شهدتُ في صلاة الجمعة بمسجد الهرهورة بالرباط، إعلان شابة فرنسية إسلامَها أمام جموع المصلين. لقد جاءت من فرنسا بحثا عن الإسلام، فآمنت به وأعلنته بفخر واعتزاز. بعد ذلك وفي اليوم نفسه نُشر في وسائل الإعلام خبر امرأة إسبانية أسلمت بمدينة سلا المجاورة للرباط، متأثرة بمشاهد صلاة العيد، التي ظلت ترقب وقائعها وتتفاعل معها، عبر شرفة منزلها المجاور للمصلى بحي كريمة. وفي هذا اليوم المبارك نفسه أعلنت سيدة فرنسية أخرى إسلامها بمسجد التمديد بمدينة أكادير جنوب المغرب.

فما الذي يجعل الناس بمحض إرادتهم يبحثون عن الدين ويطلبونه؟ وما الذي يجعل الناس بكامل اختيارهم يبحثون عن العلماء والمفتين ليرشدوهم ويفتوهم في الدين؟ أليس لكون الدين يملؤ فراغات لا يملؤها غيره، ويلبي حاجات لا يلبيها غيره؟ هناك حاجات لا تسدها القوانين ولا المؤسسات ولا المنظمات ولا الفلسفات. وحياة الإنسان ليست بالخبز وحده، وليست بالقوانين وحدها، وليست بالسياسة وحدها، ولكنها أيضا بالدين وعقيدته وشريعته وهدايته.

وفيما يلي ذكر لبعض المجالات التي يظهر فيها مدى حاجة الناس إلى الدين وكلمته.

1. هناك قضايا العقائد والعبادات والحياة الروحية، وهي مجالات تشغل حيزا واسعا من حياة الناس واهتماماتهم، وتشكل عنصرا بالغ الأثر في مدى سعادتهم أو شقاوتهم، ليس في الآخرة فحسب، بل في الدنيا أولا. ومعلوم أنها حقول دينية خالصة، لا كلام فيها ولا جواب إلا للشرع والوحي. ولا أظن أحدا يجادل في أهمية هذه المجالات وتوقفها كلية على الدين ومرجعيته.

2. الدين وحده هو القادر على إقناع الناس بأن الحياة جديرة بالحياة، وجديرة بالتضحية والمثابرة والصبر والمصابرة، وأن الحياة لها رسالة وغاية، ولها معنى ومغزى، ولها قيم وأخلاق يجب التمسك بها. ولقد حاول الفلاسفة أن يقدموا تصورات وإجابات عن الحياة وأسئلتها الملحة، لتكون بديلا عن الدين ورسالته، ولكن تنظيراتهم عادة لا تتجاوز كتبهم. ويبقى أن البشرية إنما تستمر في حياتها ورسالتها وكفاحها وتقدمها، بفضل الدين و عقيدته وتعاليمه، لا بفضل الفلسفة ونظرياتها. يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: "فأقصى مطالب الفلسفة أن تُعَرِّفَنا الحقَّ والخير ما هما؟ وأين هما؟ ولا يعنيها بعد ذلك موقفنا من الحق الذي تُعَرِّفه والخيرِ الذي تحدده. أما الدين فيُعَرِّفنا الحق لا لنَعْرفه فحسب، بل لنؤمن به ونحبه ونمجده، ويُعَرِّفنا الواجبَ لنؤديه ونوفيه ونكَمِّل نفوسنا بتحقيقه"[1].

3. في حياة الإنسان – كل إنسان – جوانبُ ذات خصوصية وحميمية وحساسية، سواء في حياته الشخصية الجسدية والنفسية والعاطفية، أو في حياته الزوجية وعلاقاته العائلية... مثل هذه الجانب لا تحتمل تدخل القوانين ولا غيرِها من أشكال التدخل الخارجي، ولا يكاد القانون يتناولها إلا بشكل سطحي ومحدود. ولكن الفتاوى والتوجيهات الفقهية، والآدابَ الشرعية، تَنْفُذُ إليها وتنظمها وتهذبها، وتجيب على تساؤلات الناس وتشفي غليلهم فيها.

4. حتى في القضايا المتخمة بالنصوص القانونية، فإن العقيدة الدينية والفتوى الشرعية تبقى حاضرة مؤثرة لا يقوم مقامَها غيرُها. فما أكثر المداخلَ والمخارجَ التي يمكن من خلالها خرق القوانين والعبث بها. ولكن الفتوى الدينية تحاكم الإنسان إلى ربه وإيمانه وضميره، وتحكم عليه بمنطق الحلال والحرام، وبحساب الدنيا والآخرة. وكم من الناس إنما يردعهم عن السلب

[1] - الدين: بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، ص71

والنهب ومختلف أشكال الفساد والظلم، ما يعلمونه في ذلك من تحريم ووعيد. ولو تُركوا مع القوانين والمحاكم وحدها، لما وجدوا معها أي مشكلة.

وقد قرر فقهاؤنا الأجلاء قاعدة فقهية تقول: (حُكمُ الحاكم لا يُحِلُّ حراما ولا يحرم حلالا)، بمعنى أنه حتى لو حكم لك القاضي بشيء، وأنت تعلم أنه ليس لك، وأنه لا يحل لك، فإنه يبقى حراما عليك عند الله تعالى، يحاسبك عليه ويعاقبك على أخذه. وكثير من الناس يستطيعون بقوتهم أو بدهائهم أو علاقاتهم أن يزَوِّروا الوثائق ويقلبوا الحقائق، وأن يجعلوا باطلهم حقا، وحق غيرهم باطلا. وكثير منهم يستطيعون أن يُفلتوا من العقاب القضائي على جرائمهم مرة بعد أخرى، ولكن كما يقال: (لا حيلة مع الله). والعقيدة الدينية تضع الإنسان أمام الله تعالى، وليس أمام القاضي فحسب.

وفي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختصم إليه رجلان في مال متنازع عليه بينهما، فاستمع عليه السلام إليهما، ثم قضي بالحق لأحدهما بناء على حجته، ثم قال منبها ومحذرا: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ (أي أبلغ وأقوى) بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار». وفي رواية أخرى للحديث: فَبكى الرّجلَانِ، وَقَالَ كل وَاحِد مِنْهُمَا: حَقي لأخي الآخر. فَقَالَ رَسول الله: "أما إِذا فعلتما هَذَا فاذهبا فاقتسما وتوخيا الحق. ثمَّ استهما، ثمَّ ليحلل كل وَاحِد مِنْكُمَا صَاحبه".

والخلاصة: أن الدين جمع أصح ما في الفلسفة وسبقها إليه، وأسمى ما في الأخلاق وحثنا عليه، وأعدل ما في القانون وتعبدنا به. فالدين في الحقيقة فلسفة وخُلق وقانون.

ثم إن الدين – على امتداد الزمان والمكان – يسكن في أعماق الإنسان لا يغادرها. ومهما ظهر أنه قد خفت وأدبر، فإنه سرعان ما ينبعث ويتجدد. يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز "إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تَبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة

ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنية للحياة الأرضية"[1].

هناك قاعدة فقهية تقول: الأمر إذا ضاق اتسع. والقاعدة التاريخية في موضوعنا تقول: الدين إذا تقلص انتفض، ثم تجدد ونهض. الدين يتجدد وينهض من ذاته، ويستمد قوته من ضعفه، ويستخرج يسره من عسره، كما أنه أيضا يُجدَّد بجهود علمائه ودعاته، {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [سورة الشرح: 5 – 8].

حديث التجديد

حديثي عن تجديد الدين ينطلق من الحديث النبوي المعروف في هذا الباب. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[2].

شرح ألفاظ الحديث:

يبعث

[1] – الدين: بحوث ممهدة لتاريخ الأديان، ص87

[2] – أخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه. والحديث صححه ووثق رجالَه الجمُّ الغفير من علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين، وصححه الألباني من المعاصرين.

الاستعمالات القرآنية – و غيرها – لمادة "بعث"، تشتمل على معنيين يتداخل أحدهما مع الآخر، وهما: الإرسال المتضمن للتكليف بأمر ما، والإظهار المتضمن أيضا معنى الإخراج.

ويغلب القصد إلى المعنى الأول، مع شيء من المعنى الثاني في البعث المتعلق بالرسل والأنبياء، وهذا كثير في القرآن و السنة. فبَعْثُ الأنبياء والرسل معناه إرسالهم، وفيه إظهار وإخراج لهم. وأمثلة هذا في القرآن والسنة لا تحتاج إلى ذكر أو توضيح، بل إن هذا المعنى لمادة بعث، أصبح هو المعنى المتبادر إلى الأذهان عند سماعها وعند إطلاقها.

ولكن البعث بمعنى الإرسال لتبليغ أمر ما، أو للقيام بعمل ما، ليس مقصورا على الرسل والأنبياء، بل استُعمل بهذا المعنى ذاتِه فيما دون بعث الأنبياء فيقال: بعث فلان فلانا لكذا و كذا، فهذا هو المعنى المراد ببعث الرسل و الأنبياء، و الفرق إنما هو في الباعث والمبعوث، والأمرِ المبعوث له، أما معنى البعث في حد ذاته فهو واحد، ومن ذلك قوله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيه} [المائدة: 31]، وقوله تعالى: {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا...} [الإسراء: 5]، وقوله: {{إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} [البقرة: 247]، وقوله: {فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَة} [الكهف: 19].

وأما المعنى الثاني للبعث، وهو الإخراج والإظهار، فأكثر ما استعمله القرآن الكريم كان في بعث الناس يوم القيامة، وهو أيضا كثير ومعروف، كقوله تعالى: {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج: 7]، وقوله: {وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [الأنعام: 36]، وقوله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: 7].

فإذا تأملنا البعث الوارد في حديث التجديد وجدناه مستعملا بالمعنى الأول، فهو إلى حد ما كبعث الرسل والأنبياء. ويفترقان في أن بعث الأنبياء والرسل يكون بوحي

وبتكليف أصلي مباشر، لا واسطة فيه ولا تبعية لأحد، بينما بعث المجددين ليس فيه وحي ولا تكليف مباشر، ولا هو تكليف أصلي، بل هو بعث في دائرة الدين القائم الخاتم، فالمبعوث هنا يحمل رسالة تبعية، منبثقة من الرسالة الأصلية.

وإذا وضح هذا الفرق لم نكن بحاجة إلى ذلك التفريق الذي ذهب إليه الإمام محمد الطاهر بن عاشور، حيث اعتبر بعْثَ المجددين من قبيل البعث التكويني، بخلاف بعث الرسل الذي هو بعث تشريعي تكليفي[1]. فبعثُ المجددين هو أيضا بعث تشريعي تكليفي، لكن بمقتضى الشريعة المقررة التي يؤمن بها المجدد وينتمي إليها. فالعالم أو المصلح، حين يبلغ درجة من العلم والبصيرة، ودرجة من الشعور بالمسؤولية، ودرجة من القدرة على التحرك والفعل، يكون من واجبه أن يتحمل مسؤوليته ويؤدي أمانته، فإذا كانت أحوال الأمة وأحوال دينها تحتاج إلى تجديد، كان واجبا عليه أن يجدد، وكان مدعوا ومطلوبا للقيام. فينبعث حينذاك – أو لنقل: يبعثه الله – ليؤدي رسالته التجديدية.

نعم، يكون هذا البعث التشريعي، مدعما وميسرا بمدد تكويني، بمعنى أن الله تعالى يمد المجدد بعونه وبأسباب نجاحه، وييسر له القيام بواجبه، ولكن هذا ينطبق أيضا على الرسل، ويندرج في أصول عامة مقررة، منها توفيق الله ومعيته ونصره لمن ينصرون دينه و يجاهدون في سبيله ...

كما يدخل ضمن هذا البعث التكويني تقدير الله تعالى للزمن الذي يبعث فيه المجدد، بحيث يأتي في إبانه، وفي دورات منتظمة كافية لاستمرار التجدد والبقاء لهذا الدين.

رأس المائة سنة

[1] – تحقيقات وأنظار لمحمد الطاهر بن عاشور ص111

اللفظ الثاني من ألفاظ الحديث التي تحتاج إلى توضيح، هو قوله صلى الله عليه وسلم: "على رأس كل مائة سنة". والذي يحتاج إلى توضيح، هو الصيغة التركيبية وليس الألفاظ المفردة، وخاصة (رأس المائة).

إذا عرفنا أن الرأس يطلق عموما على أعلى الشيء وأولِه وما هو مقدم فيه، كما هو الشأن في رأس الإنسان، ورأس الحيوان، ورأس الجبل، ورأس القوم، ومنه الرئيس ...إذا عرفنا هذا أمكننا أن نقول: إن رأس المائة يقصد به أولها، أي السنوات الأولى منها، ومثله قولنا: رأس السنة، أي أولها، ورأس الشهر: أوله.

يجدد

قال في القاموس: الجدة ضد البلى... وأجدَّ الشيءَ وجدده واستجده صيره جديدا فتجدد.

فالتجديد إذاً يقع على شيء موجود من قبل، لكنه تعرض للبلى كليا أو جزئيا، فيكون تجديده بإعادته إلى ما كان عليه من صلاحية وبهاء وكمال يوم كان جديدا في أول أمره وأحسن أحواله. وكما أن البلى يكون كليا ويكون جزئيا، فإن التجديد كذلك قد يكون كليا، أي شاملا لكل جوانب الشيء المجدد، وقد يكون جزئيا في جانب دون آخر، إما لكون البلى لم يصب ذلك الجانب الآخر، وإما لكون طاقة المجدد وجهده لم يصلا إليه.

المعنى الإجمالي للحديث

تضمن هذا الحديث إخبارا وبشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته بأن الله سيقيض لها ويبعث فيها من حين لآخر، مَن يقوم بتجديد ما بلي ورثَّ من أمور دينها، ببعث الروح والحيوية والسلامة والعافية فيه من جديد، وذلك على فترات تتكرر كل مائة سنة.

يقول العلامة يوسف القرضاوي: "يهدف هذا الحديث إلى بعث الأمل في نفوس الأمة بأن جذوتها لن تخبو، وأن دينها لن يموت، وأن الله يقيض لها كل فترة زمنية – قرن من الزمان – من يجدد شبابها، ويُحيي مَوَاتَها"[1].

تجديد الدين: كيف ولماذا؟

كثير من العلماء الذين تكلموا في موضوع تجديد الدين نبهوا على كون الدين معرضا لأنواع شتى من الرثاثة والبلى والخمول والجمود والانحراف، تصيب الناس في عقائدهم ومعارفهم الدينية، وفي عباداتهم وتطبيقاتهم العملية، مما يجعل مواجهة هذه الآفات بالإصلاح والتجديد والتقويم أمرا لازما لا غنى عنه، على الأقل بين الفينة والأخرى. وهذا ما كان يتولاه من قبلُ الأنبياء والرسل. وأما بعد أن خُتمت النبوة وأغلق بابها بصفة نهائية، فقد أصبح لا بد من ضرب جديد من الاستمرارية للوظيفة التجديدية للأنبياء، فكان العلماء والمجددون، الذين يحملون أمانة وراثة النبوة، وأمانة تجديدها من حين لآخر. يقول العلامة ابن عاشور: "فإذا فرضنا كمال أمر الدين حصل في عصر الآباء عن مشاهدتهم أمرَه، كما نفرضه في عصر النبوة حين شاهد الصحابة الدين في مَنَعَةِ شبابه، جاء الأبناء فتلقوا عن الآباء صور الأمور الدينية عن سماع وعلم دون مشاهدة، فكان علمهم بها أضعف. ومن شأن الجيل إحداث أمور لم تكن في الجيل السابق. فإذا جاء جيل الحفدة تُنُوسِيَت الأصول و كثر الدخيل في أمور الدين، فأشرف الدين على التغيير، فبعث الله مجددا ..."[2].

وهكذا فإن دورة ثلاثة أجيال تكون عادة كافية لحصول الفتور والتراخي وحصول ضمور في بعض جوانب الدين، مقابل تضخم أو غلو في جوانب أخرى.

---

[1] – من أجل صحوة راشدة ص **11**

[2] – تحقيقات وأنظار ص**113**

وقد نبهتِ النصوصُ على أن الناس من شأنهم – مع تقادم الزمان – أن يتغيروا ويغيروا، وأن يـذهب بعضـهم إلى التفـريط ويـذهب آخـرون إلى الإفـراط... كمـا قـال سـبحانه: {فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]. وفي السنة تنبيهات كثيرة على ما سيتطرق إلى المسلمين من ذلك مثل: "إياكم ومحدثات الأمور"[1]، "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"[2]، "يَحمل هذا العلمَ من كل خَلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[3].

وإذا كانت المائةُ سنةٍ مَظِنَّةً لحصول تراكمات ملموسة واضحة من الآفات التي تُدخل على المعارف الدينية والممارسات العملية أشكالا من الإفراط والتفريط، ومن الابتداع والتخريف، ومن الخمول والجمود، فإن ظهور هذه الآفات ليس مرهونا بمرور مائة سنة، بل هي قد تقع في كل وقت وحين، لكن بقدر قليل وبشكل متدرج، ومن هنا فإن التجديد ليس محصورا في رؤوس المئين. يقول العلامة ابن عاشور: "وهذا التيسير الإلهي بقيام المجدد على رأس كل مائة سنة، تجديدٌ مضمون منضبط، وهو لا يمنع ظهور مجددين في خلال القرن، ظهورا غير منضبط..."[4].

أقوال العلماء في مضمون التجديد

إذا كانت أسباب التجديد ودواعيه هي الاختلالات الفهمية والتطبيقية، المعتادُ حصولُها وتراكمها، فإنها مشيرة إلى مضمون هذا التجديد ومجالاته، بمعنى أن الدين المجدد ليس هو الدين المنزل، كما أنزل الله تعالى، وليس هو المضامين الأصلية التي يتكون منها

---

[1] – رواه الترمذي

[2] – رواه مسلم

[3] رواه البيهقي في السنن الكبرى وشعب الإيمان.

[4] – تحقيقات وأنظار، ص 113 – 114

هذا الدين، وإنما المراد "دين الناس" أو "إسلام المسلمين"، أي فهمهم للدين، وتفاعلهم مع الدين، وعملهم بالدين، وتعاملهم مع الدين، وتطبيقهم للدين، على نحو ما نقول: فلان أسلم وحسن "إسلامه"، فهو حسَنُ الإسلام، يقابله من ساء إسلامه، فإسلامه سيء، ونحو قولنا: فلان متين الدين، وفلان لَيِّنُ الدين. فللأول دينه، وللثاني دينه، بينما هما يدينان بدين واحد في ذاته وأصله، وعلى هذا يكمن القول مثلا: إن " إسلامنا" اليوم ليس كـ" إسلام الصحابة"، وإن إيماننا ليس كإيمان الصحابة، نريد بذلك الاختلاف في الدرجة، والاختلاف في السلامة، والاختلاف في القوة...

إذاً فإسلام الناس يتغير بمرور الزمن؛ ينحط، ويفتر، وينحرف... فيأتي التجديد لتقويم ما اعوج، وإصلاح ما فسد وإحياء ما مات...فهذا هو التجديد، وهذا هو الدين المجدد.

وتتنوع مجالات التجديد بتنوع مجالات الدين وجوانبه، وبخاصة منها ما يكون أكثر تعرضا للآفات سالفة الذكر.

وتختلف عبارات العلماء الذين تحدثوا عن مجالات التجديد، وتختلف طريقة عرضهم، ما بين من يُجْملها في كلمات، ومن يُفصِّل فيها حتى يجعلها بالعشرات. ولكن مرماهم واحد، هو ما تقدم أو بعضه.

والذي تكاد تتفق عليه كلمة المتكلمين في هذا الموضوع، هو أن تجديد المجدد قد يتسع وقد يضيق، حسب حاجة زمانه من جهة، وحسب مقدرته هو ومؤهلاته وإمكاناته.

وهذا يعني أن "التجديد يتبعَّض"، مثلما أن "الاجتهاد يتبعض". بل إن القولَ بتبعُّض التجديد أكثرُ قَبولا وأقلُّ معارضا من القول بتبعُّض الاجتهاد. وعلى هذا، فقد يكون التجديد علميا صِرفًا، بل قد يكون علميا في مجال علمي دون سواه. وقد يكون تربويا دعويا. وقد يكون سياسيا إداريا ينصبُّ على إصلاح أجهزة الدولة وتطهير دواليبها من الغش والخيانة والتَّرَهُّل والظلم. وقد يكون عسكريا يحيي في الأمة جهاديتَها

ويعيد بناء جيشها ورصَّ صفوفها، ويحقق لها من الانتصار والعزة، ويبعث همتها ونهوضها لرسالتها ومكانتها ...

يرى العلامة ابنُ عاشور أن الجوانب التي تحتاج إلى التجديد من حين لآخر تتلخص في ثلاثة، يقول: "فالتجديد الديني يلزم أن يعود عمله بإصلاح الناس في الدنيا : إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين كما هي، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، وإما من جهة تأييد سلطانه"[1].

فالتجديد عنده: إما للعلم والفكر، أو للتدين العملي لعموم المسلمين، أو للأوضاع السياسية للأمة.

فالأول يقوم به العلماء والمفكرون.

والثاني يقوم به الدعاة والمُرَبُّون والمصلحون.

والثالث يقوم به الولاة والزعماء السياسيون والقادة العسكريون.

ويذهب الأستاذ المودودي رحمة الله عليه إلى أن جميع المجددين الذين ظهروا لحد الآن، إنما هم مجددون جزئيون، أي أن كل واحد منهم جدد في جانب أو بضعة جوانب، دون غيرها، ولو أن عمر بن عبد العزيز أوشك أن يكون مجددا كاملا، لولا أن المنية عاجلته قبل بلوغ الغاية في مسعاه[2]. وأما المجدد الكامل عنده فلن يكون سوى "الإمام المهدي المنتظر"[3].

---

[1] تحقيقات وأنظار ص13

[2] – المرجع السابق للمودودي.

[3] – فكرة "الإمام المهدي المنتظر" هي من بنات الفكر الشيعي ومن أركانه المذهبية، ولها نظائر في الملل القديمة. وقد تسربت إلى الأوساط السنية من خلال روايات ضعيفة متضاربة، جمعها بعض المحدثين، واعتبروا أنها متعاضدة تفيد الصحة بمجموعها. وأظن أن سر شيوع هذه الفكرة وتلقيها بالقبول عند الناس، لا يخرج عن قاعدة: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)... وانظر كتاب العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (لا مهديَ يُنتظر بعد الرسول محمدٍ خيرِ البشر)، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

من هم المجدِّدون؟

تعرَّض كثيرٌ من العلماء قديما وحديثا لمحاولة تحديد المجددين بأسمائهم عبر القرون. وقد تأثرت مسألة التعيين هذه بمسألتين أخريين تتعلقان بفهم الحديث، وهما:

(1) – لفظ "مَن" في الحديث، هل تُحملُ على الواحد المفرد، أو أنها تحتمل الجمعَ وتفيده في الحديث؟ بمعنى هل المجدد المبعوث على رأس كل سنة يكون فردا واحدا، أو يمكن أن يكون أفرادا عديدين، أو جماعة أو جماعات؟ والصحيح الذي نص عليه عدد من شراح الحديث هو أن لفظة (مَن)، تدل على المفرد وعلى الجمع، قليلا كان أو كثيرا. بل هي معدودة من ألفاظ العموم. ولهذا فالتجديد المئوي الموعود، يمكن أن يتعدد القائمون به في القرن الواحد وفي الوقت الواحد. وقد نقل الحافظ ابن حجر عن بعض الأئمة "أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدٌ فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذُكر في الطائفة. وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاجِ إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائمَ بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها. ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه. وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائمَ بأمر الجهاد والحكم بالعدل. فعلى هذا: كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا"[1].

وقال الملا علي القاري: "والأظهر عندي – والله أعلم – أن المراد بمن يجدد ليس شخصا واحدا، بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية"[2].

---

[1] – فتح الباري لابن حجر (13/ 295)

[2] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (1/ 321)

وبناء على هذا فإن تحديد مجدد واحد لكل قرن، فيه إجحاف بمجددين آخرين في كل قرن، فضلا عما فيه من تضييق لمعنى الحديث.

(2) – رأس المائة ما هو؟ ومتى هو؟ وما هي المائة المقصودة ؟ هل هي المائة بعد الهجرة؟ أم المائة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أم المائة بعد البعثة النبوية؟ وهل المائة تحديد أو تقريب؟

فمن خلال موقف كل واحد من هاتين المسألتين يكون تعيينه للمجدد أو المجددين لكل مائة سنة.

فالذين اعتبروا المجدِّدَ فردا واحدا، حددوا لكل قرن مجددَه، سواء اتفقوا فيه أو اختلفوا، والذين قالوا بتعدد المجددين، ذكروا لكل قرن مجموعة من المجددين في مجالات مختلفة وفي أقطار مختلفة.

ومن أقدم ما نجده في هذا الباب، ما رواه الخطيب البغدادي (ت 463) بسنده عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: "إن الله تعالى يقيِّض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذبَ، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي، رضي الله عنهما"[1].

فهذا التحديد الذي رواه الخطيب البغدادي وتبناه عن الإمام أحمد، ينبني على كون المجدد واحدا، وعلى كون رؤوس المئين حددت انطلاقا من الهجرة، فيكون رأس المائة هو أول كل قرن هجري.

وعلى هذا النحو سار أشهرُ الذين عملوا على تعيين مجددي القرون، وأعني خاصة تاج الدين السبكي وجلال الدين السيوطي، الأول في " طبقات الشافعية "[2]، والثاني في عدد

---

[1] – تاريخ بغداد 62/1

[2] – طبقات الشافعية، لتاج الدين السبكي 199/1

من مؤلفاته. وكل منهما نظَمَ مجدديه في أبيات شعرية لخص فيها رأيَه في التجديد والمجددين لكل قرن.

قال السيوطي في منظومته التي تُعتبر تتميما وتِباعا لِما تَضَمَّنَهُ نظمُ السبكي:

الحمد لله العظيم المنهْ المانح الفضلَ لأهل السنة

ثم الصلاةَ والسلامَ نلتمسْ على نبي دينُه لا يندرس

لقد أتى في خبر مشتهر رواه كل عالم معتبر

بأنه في رأس كل مائة يبعث ربنا لدين الأمة

منا عليها عالما يجدد دين الهدى لأنه مجتهد

فكان عند المائة الأولى عمرْ خليفةُ العدل بإجماع وقرْ

والشافعيُّ كان عند الثانية لما له من العلوم السامية

وابن سريج ثالث الأئمهْ والأشعريُّ عَدَّه من أَمَّهْ

والباقلاني رابع أو سهل أو الإسفرايني خُلْفٌ قد حكوا

والخامس الحبر هو الغزالي وعدُّه ما فيه من جدال

والسادس الفخر الإمام الرازي والرافعي مثله يوازي

والسابع الراقي إلى المراقي ابن دقيق العيد باتفاق

والثامن الحبر هو البلقيني أو حافظ الأنام زين الدين

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنة في كلامه

وأن يكون جامعا لكل فن أن يعم علمه أهل الزمن

وأن يكون في حديث قد روي من أهل بيت المصطفى وقد قوي

وكونه فردا هو المشهور قد نطق الحديث والجمهور

وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وعد

وقد رجوت أنني المجدد فيها ففضل الله ليس يجحد.

على أن هذا المنحى الذي سلكه ابن السبكي والسيوطي ومن تبعهما وجهت إليه اعتراضات وانتقادات عديدة، لعل أشدَّها هو ما يتعلق بالخلفية المذهبية التي تحكمت في تعيين مجددي القرون، وأعني بذلك التمذهب بمذهب الإمام الشافعي، فقد جعلا التجديدَ حكرا على الفقهاء والعلماء الشافعية...

كما انتُقد هذا المسلك أيضا من جهة أخرى، هي تحريهم وتحديدهم للمجددين من خلال توافق وفاتهم مع رأس المائة أو بعدها بقليل. وهكذا أصبحت سنة الوفاة هي الملجأ في تحديد المجددين، فإذا أردت أن تعرف المجدد على رأس قرن من القرون، فانظر إلى وفاته هل وافقت رأسَ المائة أو قاربتها، أم جاءت بعيدةً عنها. وهذا من الغرائب المضحكات. فالحديث النبوي أفاد أن المجددَ "يُبعثُ" على رأس المائة، لا أنه يموت ويُقْبَرُ على رأس المائة، كما هو شأن المجددين المختارين عند الشافعية. وقد شنع ابن عاشور على السبكي تعيينَه للمجددين انطلاقا من سنة وفاتهم: "مع أن مقتضى الحديث أن يكون عملُ المجدد منوطاً بوقت ظهوره أو انتشار أمره وقوة عمله في تجديد الدين، كما يفصح عنه لفظ "يَبعث اللهُ"، الواقعُ في الحديث، الذي هو بمعنى: يقيمُ الله، ولفظُ "يجدد"، المقتضي أن يكون معظم حياة المجدد في رأس القرن، إذ العمل من أثر الحياة لا من مقارنة الممات"[1].

وقال الشيخ القرضاوي : "والحديث لم يقُلْ: إن الله يتوفى المجددَ على رأس القرن، بل يبعثه على رأس القرن. ومعناه أن مهمته تبدأ على رأس القرن، وليست تنتهي عنده"[2].

ومن الطرائف التي نجَمت عن مسلك اعتبار المجدد بسنة وفاته، ما حكاه ابن السبكي بقوله "وقد صح أن هذا الحديثَ (يَقصد حديثَ التجديد) ذُكر في مجلس أبي العباس بن

[1] تحقيقات وأنظار ص115

[2] من أجل صحوة راشدة، ص24

سريج، فقام شيخ من أهل العلم، فقال: أبشرْ أيها القاضي، فإن اللهَ بعث على رأس المائة عُمرَ بنَ عبد العزيز، وعلى الثانية الشافعي، وبعثك على رأس الثلاثمائة... فصاح أبو العباس بنُ سريج وبكى وقال: لقد نَعَى إليَّ نفسي. ورُوي أنه مات في تلك السنة"[1].

ونُقل عن الحاكم النيسابوري أنه روى هذه الحكاية، مع الأبيات الواردة فيها، وفيها ذكر الثلاثة (ابن عبد العزيز، والشافعيّ، وابن سريج) فجاء فيما بعد أحدُ الذين سمعوها، فزاد إليها أبياتا أخرى قال فيها:

والرابع المشهور سهل محمد[2] أضحى عظيما عند كل موحد

لا زال فيما بيننا حبر الورى للمذهب المختار خيرَ مجدِّد

"قال الحاكم: فلما سمعت هذه الأبيات المزيدة سكتُّ ولم أنطقْ، وغمَّني ذلك، إلى أن قدَّر اللهُ وفاتَه في تلك السنة"[3].

فانظر كيف أصبح بعثُ الشخص مرادفا لوفاته وانتهاء مهمته!! وكان الأحرى أن يعد ذلك إيذانا ببداية شوط جديد في الحياة، وهو شوط الإصلاح والتجديد، أو هو شوط "البعثة" التجديدية.

ومعنى هذا أنَّ بعثَ المجدد على رأس المائة يستلزم – كما نبَّه على ذلك ابنُ عاشور وغيره – أن يكون بدءُ رسالته التجديدية وحركته الإصلاحية على رأس المائة، ثم تستمر ما شاء الله أن تستمر، إلى أن تُحْدِثَ أثرَها وتؤتي بعضَ ثمارها على الأقل.

بدء احتساب المائة؟

---

[1] – طبقات الشافعية 1/200 – 201

[2] – هو أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، أحد أئمة المذهب الشافعي، توفي سنة 369

[3] – طبقات الشافعية 1/200 – 201

أما رأس المائة الذي يبعث فيه المجدد وتنطلق فيه دعوته فيحتمل أن يكون اعتبارا من الهجرة، أو أن يكون اعتبارا من وفاة صاحب الدين المجدد، رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وهما الاحتمالان الأكثرُ تقدما من بين احتمالات عدة.

وبشيء من النظر، يتراجع الاحتمال الأول ويقوى الاحتمال الثاني، وذلك لسببين :

1 – أن العدَّ والتأريخ بالهجرة لم يكن زمنَ النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يَرِدْ له ذكر في السُّنة، بل هو طارىء عُمل به في خلافة عمر، كما هو معلوم.

2 – أن نهاية حياة النبي صلى الله عليه وسلم – وقد كانت سنة 11للهجرة – تمثل ذروةَ الرسالة المحمدية، وغايةَ كمالها وسلامتها، كما نُصَّ على ذلك في قوله تعالى {اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]. ثم بعد وفاته عليه السلام بدأ يدب النقص، تارة في هذا الجانب، وتارة في ذاك...عملا بالسنة الكونية (لكل شيء إذا ما تم نقصان)، وهو ما أدركه وعبَّر عنه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين نزل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}. فقد رُوي أن هذه الآية لَمَّا نزلت وسمعها عمر رضي الله عنه بكى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يُبكيكَ؟ فقال: أبكاني أنَّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمُلَ، فإنه لم يَكمل شيء إلا نقص. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صدقْتَ.

ولهذا فإن المائة سنة التي هي عادة مَظِنَّةٌ لتراكم أشكال من النقص والاختلال والفتور، ينبغي أن يبدأ احتسابها من حيث بدأ التحول والانتقال من ذروة الكمال إلى التناقص التدريجي، وذلك هو تاريخ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما أخذ به ابن عاشور في تحديد الدورات التجديدية، أي أن رأسَ المائة سنةٍ المقصودَ في الحديث يكون في حوالي مائة وعشرة فأكثر. أما وفاة المجددين فتأتي بعد ذلك بفترة تطول أو تقصر، حسب عمر كل واحد.

وبناء على ما سبق، فإن المجددين الأوائل عند ابن عاشور هم : مالك بن أنس الذي بدأ نبوغُه وظهور أمرِه خلال العقد الثاني من القرن الثاني، ثم يأتي بعده البخاري، ثم أبو الحسن الأشعري. ثم أوردَ من مجددي القرون اللاحقة عددا من الأمراء والزعماء من ذوي الانتصارات والفتوحات، وممن أعَزُّوا الأمة بعد ذلة، أو جمعوا شملها بعد فُرقة، أو حققوا إصلاحات داخلية، سياسية وإدارية واجتماعية . وكلهم كان ظهورهم وظهور آثارهم الإصلاحية – وليس وفاتهم – في نحو العقد الثاني من القرن الهجري.

على أن عددا من العلماء الباحثين في الموضوع قد عينوا مجددي القرون خارج أي تقييد زمني، ودون أي التزام بموافقتهم لرؤوس المئين بأي معنى من معانيها المذكورة، بل كان مرجعُهم الوحيدُ هو أن يكون هناك تجديد وإصلاح وأثر ملموس في تقويم حال الأمة وتحسينه، وأما "رأس المائة"، فكأنهم اعتبروه من الأمور الغيبية المبهمة، المتروك أمرها لعلم الله تعالى، وأن المهم هو تحقق البشارة وحصول التجديد. وهذا هو صنيع رشيد رضا في (تاريخ الأستاذ الإمام)، وأبي الأعلى المودودي في (موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه)، وأبي الحسن الندوي في (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) وعبد المتعال الصعيدي في كتابه (المجددون في الإسلام).

من قضايا التجديد

بعد الوقفات السابقة مع "حديث التجديد" وأقوال العلماء في شرح الحديث ومضامينه، أنتقل إلى تناول بعض قضايا التجديد ومتطلباته في عصرنا.

مجالات التجديد اليوم

التجديد يدخل – ويُحتاج إليه – في كل مجالات الحياة، وفي كل أبواب الدين.

غير أن كثيرا ممن يتناولون هذا الموضوع يبادرون إلى القول: إن التجديد لا تعلق له بثوابت الدين، كالعقائد والعبادات والأخلاق وسائر الأحكام المنصوصة الصريحة، وإنما يختص بالظنيات والمتغيرات والفروع الاستنباطية ولا يتجاوزها. وهذا التحفظ والتقييد إنما منشؤه الاعتقاد بأن التجديد تغيير واستبدال. والحقيقة أن التجديد إنما هو إعادة حالة الجدة والقوة والسلامة والمكانة إلى الشيء المجدد، حتى يصبح وكأنه شيء جديد.

وقد أشرت فيما تقدم من شرح الحديث إلى أن الدين حين ينتقل من التجرد إلى التجسد، تلابسه أفهام الناس وأفكارهم وثقافتهم وتطبيقاهم، ببشريتها ونقائصها وظرفيتها، ثم تتوالى تلك الملابسة بآفاتها تلك، عبر العصور والأجيال، فيتطرق من ذلك خلل وجهل وسوء فهم. ثم تتراكم هذه الآفات شيئا فشيئا.

كما أن الممارسة الدينية العملية تصاب عادة ببعض الوهن والفتور والتفريط، يقع ذلك ويمضي جيلا بعد جيل، وإذا بكل خَلَف أضعفُ من سلفه، كما نبه على ذلك القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثوا الْكِتَابَ يَأْخذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} [الأعراف: 169]، وقوله: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [مريم: 59]. فإذا جاء التجديد وبُعث المجددون عاد الناس بفضل ذلك إلى ما هو أقوى وأحسن.

فمن هذا وذاك تأتي الحاجة إلى التدارك والتجديد المتكرر، لإعادة الأمور إلى نصابها وتقريبها من صورتها الأولى، ولاسترجاع ما ضاع من حيويتها وفاعليتها وقوتها.

وعلى هذين المعنيين، فأصول الإسلام وثوابته ليست بمعزل عن التجديد، بل هي الأحق به، متى ما أصابها شيء مما ذكر.

وهناك معنى ثالث للتجديد، وهو ما يمكن تسميته بـ"عملية التحيين والملاءمة". ومنشأ الحاجة إلى هذا النوع من التجديد هو ما تعرفه الحياة البشرية والمجتمعات البشرية، من تطورات وتغيرات مستمرة؛ في وسائلها ونُظُم عيشها وثقافتها ومصطلحاتها وأعرافها ومظاهرها ومشاكلها وحاجاتها...

لا شك أن ثوابت الحياة البشرية كثيرة وعميقة، ولكن المتغيرات فيها أوسع مدى وأكثر عددا. وهذا يضع أمامنا دوما ما يسمى بالمستجدات، أو النوازل، حسب الاصطلاح الفقهي. هذه المستجدات والنوازل تحتاج إلى مواكبة واستيعاب، لبيان أحكامها ومتطلباتها، ووضع حلولها، ومعالجة آثارها. فهذا نوع من التجديد قد يؤدي التقصير فيه أو التأخر فيه إلى أن يصبح الدين متجاوَزا فيما جد ونزل، وقد يبدو عقيما عاجزا، وما هو إلا عجز الأبناء وجمود العلماء، كما قال حافظ إبراهيم رحمه الله، على لسان اللغة العربية:

رمَوني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عُداتي...

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صَدَفاتي؟

وقد يبدو للبعض أن هذا النوع من التجديد ليس سوى الاجتهاد بمعناه الفقهي الأصولي. وأقول: نعم إن الاجتهاد الفقهي الأصولي يدخل هنا، فهو نوع من التجديد الديني. ولكن ما أعنيه أوسع من الاجتهاد الفقهي في النوازل الجديدة. فهو يشمله ويشمل غيره.

فمن ذلك مثلا: تجديد الخطاب الدعوي بحسب ما يناسب عقلية كل عصر ولغتَه وثقافته ومشاكله ووسائله. فهذا ضرب من "تجديد الملاءمة والتحيين"، ولكنه ليس من قبيل الاجتهاد الفقهي.

وهناك كذلك الشبهاتُ والطعون الموجهة إلى الإسلام، فهذه الشبهات والطعون قد تتغير من عصر لآخر؛ في مضامينها، أو في حُججها، أو في مجالاتها أو مصطلحاتها. ولذلك تحتاج في كل عصر إلى نظر جديد وإنتاج فكري جديد، يناسب جديدها، ويفند مزاعمها، ويبطل سحرها وأثرها.

وهناك القضايا العامة للمجتمع والدولة، السياسية والفكرية والاجتماعية؛ كأنظمة الحكم، والحرب والسلام، وقضايا التربية والتعليم، وقضايا الأسرة، وقضايا الاقتصاد والتنمية...

فهذه كلها تحتاج إلى اجتهاد وتجديد ومعالجات جديدة. أما المعالجات القديمة فقد أصبحت في مجملها متجاوزة.

التجديد العلمي أولا

أخص التجديد العلمي بهذه الفقرة، لكونه هو المحرك والمنطلق، وهو البوصلة والنبراس، لأي تجديد آخر. قال الإمام البخاري رحمه الله في "كتاب العلم" من

صحيحه: "باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى{فاعلم أنه لا إله إلا الله}، فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم، مَن أخذه أخذ بحظ وافر...".

فلا بد لكل تجديد – لكي ينطلق سليما ويمضي رشيدا – من التسلح بالعلم. والعلم له ضُبَّاطٌ وجنود. فضباطه هم العلماء المجتهدون فيه، وجنوده هم الطلاب والدارسون السائرون في طريقه.

وقد أصبح التجديد في مجال العلوم الشرعية محل اهتمام وجهود متعددة متواصلة في هذا العصر. فمِنْ فتحِ باب الاجتهاد والتجديد الفقهي، إلى تجديد علم أصول الفقه، إلى ظهور "علم الكلام الجديد" في مجال العقيدة والفكر الإسلامي، إلى التجديد في مناهج التفسير والدراسات القرآنية، إلى نهضة مباركة في مجال القواعد الفقهية والأصولية ومقاصد الشريعة...

ومقامنا هذا لا يتسع للحديث التفصيلي عن التجديد في العلوم الإسلامية، ولذلك أقتصر على بعض العناصر العامة المشتركة، التي أراها ضرورية لتوسيع دائرة التجديد العلمي والسير به إلى غايته.

– العنصر الأول، هو الحاجة إلى تحرير علماء الشرع – أو أكثر ما يمكن منهم – من التبعية لغيرهم، وخاصة التبعية للحكام والأمراء والولاة والوزراء. فما تضررَ العلمُ والعلماء بشيء بقدر الضرر الناشئ عن هذه التبعية. وأعني بالتبعية هنا التبعية العلمية؛ بحيث يصبح قولُ العالم – أو موقفه – يُكَيَّفُ ويُلَوَّنُ ويُحَجَّم بما يوافق الحاكمَ ويسايره ويخدم سياسته، وبما يرضيه ولا يُسخطه، ولو بالسكوت حيث يجب الكلام. وبما أن الحكام وولاتهم ووزراءهم، قد تجد فيهم جُهالا بالدين، أو طغاة ظالمين، أو فَسَقَة ماجنين، وقد تجد منهم حتى لادينيين، وخاصة في هذا العصر... فخضوع العالِم بالقول لهؤلاء وغيرهم، يجعل العلم الشرعي خادما مذللا لأغراضهم وأهوائهم وجهالاتهم.

ولقد خاطب الله تعالى المؤمناتِ الصالحاتِ بقوله: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: 32]، فكيف بالعلماء ورثة الأنبياء إذا أصبحوا يخضعون بالقول لغيرهم، فيطمع فيهم الذي في قلبه مرض، وفي عقله جهل، وفي نفسه هوى؟؟

إن العالِم الذي يجعل علمه تبعا لغيره، يكون بذلك قد تُوُدِّعَ منه، وخرجت روحه العلمية.

وَبَلِيَّةُ البلايا للعلم والعلماء، هي التبعية لغيرهم. وقضيةُ القضايا في التجديد العلمي والنهوض العلمي، هي تمكن العلماء من التحرر الفكري ومن الاستقلال العلمي، فلا يكون علمهم ولا فكرهم تابعا، لا لأمير ولا وزير، ولا لحزب ولا طائفة، ولا لقبيل[1] ولا قبيلة. والعالم الحق لا يكون تابعا إلا لأدلته الشرعية وقواعده المنهجية، وليس له حدود سوى حدود الله.

نعم يستطيع العالم أن يعمل وينضبط في حكومة أو مؤسسة، وأن ينخرط في حزب أو حركة، وأن ينتمي إلى مذهب أو طريقة، ولكنْ مع المحافظة على استقلاليته الكاملة، في علمه وفكره وما يخطه بنانه أو ينطق به لسانه، أي: أن يظل عالما ولا يصبح خادما.

وهذه القضية شبيهة بما يتناقش فيه المفكرون والمثقفون اليوم حول "علاقة المثقف بالسلطة"، أو "علاقة المثقف بالحزب". بل هي قضية واحدة في الجوهر، قضية تبعية الفكر للحكم والسياسة، وتبعية القلم للعصا والجزرة... القضية هي هي، غير أن أمانة علماء الشرع أثقل وأخطر.

– العنصر الثاني من عناصر التجديد المطلوب في هذا المجال هو ربطُ العلوم الشرعية بعصرنا ومشاكل زماننا ووقائع يومنا. فعُلوم الدين ليست – وما ينبغي أن تكون

[1] – القبيل: جماعة الأصحاب والأتباع ومن ينتمي إليهم الشخص أو ينتمون إليه.

– متحفا تراثيا أو مستودعا تاريخيا، وإنما هي علوم عملية واقعية، تربط الدين وقيمَه وأحكامه بالواقع، وتربط الواقع ومشاكلَه وحاجاته بالشرع.

للأسف أكثر علمائنا وطلابنا في العلوم الشرعية، يؤثرون الفرار من واقعهم المحيط بهم، والهجرة إلى تاريخهم وتراثهم. فإذا طُلب من أحدهم – مثلا – أن يتحدث في موضوع "المرأة وقضاياها وأوضاعها اليوم"، عاد بك فورا إلى أُمِّنا حواء، وآسية امرأةِ فرعون، وبلقيس ملكة سبأ، وحدثك عن الصحابيات الجليلات، من خديجة إلى سمية إلى عائشة. وربما عرج بنا على أوضاع المرأة عند اليهود واليونان والرومان، ثم ختم بأقوال الفقهاء والمفسرين، من الطبري إلى القرطبي، ثم يختم درسه أو فتواه بالدعاء الصالح...

عندما كنا نعمل في مشروع موسوعة القواعد الفقهية والأصولية، كنا – وخاصة أنا وأستاذي الدكتور جمال الدين عطية[1] – كنا نظل في جهد جهيد مع الباحثين في المشروع، لكي نقنعهم ونَحملهم ونساعدهم على استعمال أمثلة وتطبيقات من الحياة المعاصرة، وكذلك إدراج الاجتهادات والفتاوى المعاصرة، مع حثهم على تقليل الأمثلة الفقهية التطبيقية القديمة التي يكررونها دوما، مع أنها لم يعد لها وجود، أو أصبحت مستغربة ونادرة الوجود. ولكن ذلك كله كان ضعيف الأثر. فالمَرْكَبُ السهل المحبب عند أصحابنا، هو الذهاب إلى الكتب القديمة، واستدعاء الأمثلة النمطية الجاهزة، حيث لا جهد ولا جديد ولا تجديد!

ومرارا أقول لأمثال هؤلاء الإخوة الكرام: استدعوا التاريخ والتراث إليكم، واستعملوهما في واقعكم، لا بأس، ولكن لا ترحلوا إليهما، ولا تغرقوا في بحارهما. {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}، نحن سنُسأل عن أحوالنا

[1] – كان الأستاذ الدكتور جمال الدين عطية حفظه الله مديرا للمشروع، وكنت نائبا له، ثم كُلفت لاحقا بمهمة المدير، وبقي هو مستشارا للمشروع. وقد صدرت موسوعة القواعد هذه في شهر أبريل من سنة 2013، تحت عنوان (معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية)، وهي موجودة على شبكة الإنترنت.

وأعمالنا وآثارنا في زماننا، وماذا قدمنا من إجابات واجتهادات وحلول لزماننا ولأهل زماننا.

ومما يساعد على ربط علومنا وعلمائنا بالواقع ومتطلباته، انخراط العلماء أنفسِهم، وكذلك طلبة العلوم الشرعية، في ميادين الحياة وأسواقها المختلفة، وعدمُ بقائهم محصورين بين الكتب والمكاتب، ومع المحبرة إلى المقبرة. بل يجب أن يكونوا داخلين في معمعة الحياة وخضم الواقع المحيط بهم. ومن زمن بعيد وأنا أدعو علماءنا وطلابنا الشرعيين إلى ضرورة الجمع بين المدارسة والممارسة. فهكذا كان علماء السلف، مِن الصحابة فمَن بعدهم.

وفي ربيع 2013 كنت بجامعة حمد بن خليفة بالدوحة، فاستوقفني أحد الطلبة النجباء المتفوقين، قائلا: أريد أن أستشيركم، عندي دعوة للقيام ببعض الأعمال التعليمية، فهل أستجيب لهذه الدعوة، أم أن هذا سيشغلني عن دراستي وطلبي للعلم؟ فقلت له: إن أفضل وسيلة للتعلم هي التعليم، وأنا حين آتي لتدريسكم، فأنا أتعلم منكم ومما أعده لكم ومما أناقشه معكم، فاستجب لهذه الدعوة التي ستفيدك في علمك وخبرتك. بل عليك أن تشتغل أيضا في أعمال أخرى إن استطعت، كالتجارة والصحافة... فذلك كله من طرق العلم والمعرفة...

إن العلماء العاكفين على كتبهم، السابحين في بحر تراثهم، المنقطعين لبحوثهم وتحقيقاهم، المنعزلين في أبراجهم، هؤلاء لا يعول عليهم في تجديد ولا إصلاح ولا بناء ولا نهضة. وقصارى ما ينتظر منهم هو أن يكونوا بمثابة نَقَلَةٍ ومترجمين وشُرَّاحٍ للتراث...

ومما يؤكد لنا أهمية دخول العلماء في ميادين الحياة وأسواقها، كونُ هذا السلوك يغضب خصوم الإسلام ويثير سخطهم، فهم لا يريدون للإسلام وعلمائه إلا العزلة والغربة والهامشية. فلذلك يودون ألا يروا علماء الإسلام ودعاته في أي من الأسواق والميادين العامة. وهذا موقف قديم حكاه لنا القرآن الكريم عن مشركي قريش، وذلك في

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان: 7]، ورد عليهم الحقُّ سبحانه بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: 20].

فإذا كان سيد الرسل، وكافةُ الرسل، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، فما بال علمائنا – في أكثرهم وغالب أحوالهم – يأكلون الطعام ولا يمشون في لأسواق!؟ لا في سوق السياسة والحكم، ولا في سوق المال والاقتصاد، ولا في سوق الثقافة والصحافة، ولا في سوق تغيير المنكر والفساد...فأنَّى يتأتى لهم التجديد والتأثير؟

– العنصر الثالث من هذه العناصر العامة المتعلقة بالتجديد في المجال العلمي، هو ضرورة العمل على تحريك التطبيق في الجوانب المعطلة أو المتعثرة من الشريعة. فكما أن التطبيق الجديد يتوقف على الاجتهاد والتجديد، فإن استمرار التجديد وتقدمه ونجاحه، يحتاج أيضا إلى التطبيق ويتوقف عليه. ذلك أن الإشكالات والأعطاب والمتطلبات، لا يمكن فهمها حق الفهم، ولا يمكن وضع الحلول المناسبة الناجعة لها، إلا بالتطبيق ومعاينته ومعايشته. فمن لا يمارس الدعوة مثلا، ولا يعاين مشكلاتها الفعلية ومتطلباتها التجديدية، لا يمكن أن ننتظر منه التجديد في هذا المجال.

ولعل أوضح دليل ومثال على أهمية التطبيق في خدمة التجديد وإغنائه، هو تجربة المصارف الإسلامية المعاصرة. فقد أدت هذه التجربة وهذا التطبيق إلى ثورة وثروة من الاجتهادات والفتاوى الفقهية التجديدية في هذا المجال.

وهذا حاصل أيضا – ولو بدرجة أقل – في باب الوقف، ثم في باب الزكاة. وذلك بفضل التجارب التطبيقية المعاصرة في هذين البابين. فكل ذلك قد فتح للتجديد والاجتهاد أبوابا رحبة، لم تكن ممكنة بدون الحركة التطبيقية.

التجديد الكامل لمواجهة الانحطاط الشامل

من المعلوم أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم في ظل نتائج وآثارٍ سلبية شاملة، نجمت عن اختلالاتٍ عُمِّرت لعدة قرون من الانحطاط والجهل والفساد والاستبداد. ورغم أن كل تلك القرون قد شهدت ظهور مجددين من العلماء والدعاة والمصلحين، فإن آثار جهودهم ظلت جزئية وموضِعية أو ضعيفة المردودية، بينما استمر الانحطاط شموليا في عموم الأمة وعامة أحوالها. فلذلك أصبحنا اليوم بحاجة إلى جهود تجديدية مكثفة ومتنوعة. نحن بحاجة إلى التجديد العميق والواسع، على كل الأصعدة تقريبا. مع الاعتراف بأن جهودا تجديدية مقدرة قد بذلت وتبذل في هذا العصر، وقد حركت وحسنت جوانب عديدة من كل المجالات.

والتجديد الشامل يحتاج إلى مشاريع جماعية مدروسة من حيث الإعداد والتخطيط، وإلى جهود جماعية قوية من حيث الإنجاز والتنفيذ. فالتجديد اليوم بحاجة إلى جماعات ومؤسسات، وأحزاب وحكومات، ودول ومنظمات. وهذا ما نراه – بفضل الله وحمده – قد بدأ يشق طريقه ويؤدي رسالته في تجديد واقع الأمة في دينها ودنياها.

على أن التنويه بالمشاريع والجهود الجماعية وضرورتها للتجديد الفعال، لا ينقص شيئا من أهمية المبادرات والجهود الفردية، التي تبقى لها ريادتها ومكانتها.

الفصل الثاني:

تجويد التدين

من تجويد التلاوة إلى تجويد التدين

اتسعت في هذا العصر وازدهرت عنايةُ المسلمين بتجويد القرآن وترتيله، أكثر من أي وقت مضى. وقد أنشئت لهذا الغرض في شتى أنحاء العالم جمعيات ومراكز ومؤسسات وبرامج وقنوات تلفزيونية، وبدأت تنظَّم له مسابقات ومنافسات حافلة مشهودة، تقدم فيها جوائز سخية قيمة، محلية وقُطْرية وعالمية .

هذا عن التجويد والترتيل، وأما فهم القرآن وتدبره، فعرف أيضا مبادرة متميزة، إذ تأسست له مؤخرا (الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم). وفي أواخر شهر شعبان المنصرم (1434هـ)، عقدت هذه الهيئة مؤتمرها العالمي الأول بالعاصمة القطرية الدوحة،

وشارك فيه ستة وثمانون عالما وباحثا، من مختلف الدول. وقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات أذكر منها:

- إعداد خطة استراتيجية عملية؛ لتعزيز ثقافة تدبر القرآن في مجتمعات المسلمين على اختلاف لغاتهم.
- إنتاج برامج إعلامية متخصصة بالتدبر ودعمها، والاهتمام بشكل أخص بمواقع التواصل الاجتماعي.
- تصميم حقائب تدريبية متنوعة في مجال تدبر القرآن الكريم، والاستفادة في ذلك من خبراء التربية، ومراكز التدريب.
- الدعوة إلى إنشاء مراكز وجمعيات متخصصة في تدبر القرآن الكريم.

وكل هذا يدل على مكانة القرآن في نفوس المسلمين، ومدى تغلغله في قلوبهم، على اختلاف أعصارهم وأمصارهم.

ما أريد الوصول إليه هو أن علماء المسلمين – وعامتهم أيضا – الذين اعتنوا عناية بالغة بتجويد القرآن وترتيله، وأسسوا لذلك (علم التجويد)، وألَّفوا فيه عشرات الكتب، بل أصبح "فن التجويد" أرقى إبداعاتهم الفنية، جدير بهم – بل أجدر بهم – أن يوجهوا عنايتهم أكثر فأكثر إلى تجويد العمل بالقرآن، وأن يؤسسوا لذلك (علم تجويد العمل بالقرآن)، أو علم تجويد العمل بالإسلام، بصفة عامة. فتجويد القرآن والتفنن في ترتيله، وكذلك تدبره وتفسيره، والتعمق فيه وفي الاستنباط منه، ما هي إلا خطوات ومقدمات لأجل الوصول الغاية الحقيقية، التي هي العمل بالقرآن. فتجويد العمل وتحسينُه، يجب أن يحظى بعناية أكبر بكثير من العناية المخصصة لتجويد التلاوة وتصحيحِ مخارج الحروف والغوصِ على اللطائف والإشارات. فالعمل بالقرآن، وتجويد العمل بالقرآن، هي الغاية العليا من إنزاله ومن كل تعامل معه. وقد روى الإمامُ مالكٌ في موطئه قول الصحابي عبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه لأحد تلاميذه: "إنك في زمان قليلٌ قُرَّاؤُه (أي أن حُفَّاظ القرآن قليلون يومئذ)، كثير فقهاؤه، يُحفظ فيه حدود القرآن، ويُضيع حروفُه، قليلٌ من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون فيه الخطبة, يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي زمان,كثير قراؤه، قليل فقهاؤه، يُحفظ

فيه حروف القرآن, ويُضَيَّع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطي، يطيلون الخطبة، ويقصرون الصلاة، ويبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم".

لقد بلغ من عناية العلماء بتجويد التلاوة إلى الحد الذي قرره إمام القراءات ابن الجزري بقوله:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم.

فإذا كان من لا يجود تلاوته للقرآن آثما، فكيف بمن لا يجودون العمل بالقرآن؟ المسلمون أكثروا من العناية الشكلية واللفظية والرمزية بالقرآن، ولكنهم أهملوا العناية بتطبيقه وتجويد العمل به.

يصور المفكر الكبير الرئيس علي عزت بيغوفيتش رحمه الله جانبا من المشكلة بقوله: "ستجدون المصحف الشريف في كل بيت ومنزل موضوعا في مكان أو رف مخصص له. إنه أغلى هدية. ويطبع على أفخر أنواع الورق، ويتسابق الخطاطون والفنيون في تزيينه بأجمل الألوان والنقوش، وتزيين دفتيه بأروع زينة توصل إليها إبداع يد الإنسان. إن سور القرآن هي أول ما يحفظه أغلب أطفال المسلمين، ومع ذلك سوف يترعرع ويكبر أكثر أولئك الأطفال دون إدراك معاني وأهداف تعاليم القرآن الكريم. أصبح القرآن الكريم في حياة المسلمين رمزا وطلسما، ولم يعد دستورا، بينما وجب أن يكون الأمر على عكس ذلك"[1]. ويقول أيضا: "إن العالم الإسلامي المعاصر في أغلب صوره أنموذج مدرسي لقليل من الدين الخالص، وكثير من الدين الشكلي الشفهي"[2].

إذا كان كثير من المسلمين لا يعملون بالقرآن، فإن كثيرين آخرين يعملون به على نحو يشوهه ويسيء إليه. إن المسلمين اليوم – وفي كل يوم – محتاجون إلى تجويد العمل، وليس إلى العمل كيفما كان. فعندهم تدَيُّنٌ وفير وعمل كثير واستنباطات تملأ التفاسير... ولكن كيف هو العمل والتدين؟

---

[1] – عوائق النهضة الإسلامية، مقالات في فكر النهضة والحركة، لعلي عزت بيغوفيتش – الجزء الثاني ص22 – ترجمة حسين عمر سباهيتش – منشورات الفرقان بالمغرب.

[2] – المرجع السابق نفسه.

يجب أن نعترفَ ونَصْدُقَ أنفسنا: عندنا عمل منحط وتدين رديء، بينما القرآن يدعونا ويأمرنا بالإحسان في العمل وتجويده، لا بمطلق العمل.

إن التجويد الذي أعنيه هو كل عمل يتصف بالجودة والإتقان، وهو ما يقابل الرداءة والانحطاط وإساءة الأعمال. التجويد المطلوب هو المعبر عنه في القرآن والسنة بالإحسان.

قال الله تعالى:

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: 2]

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: 125]

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34]

{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء: 53]

{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]

وفي حديث جبريل الشهير: (... قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وفي حديث آخر: (إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه).

فما نصيب المسلمين من الإجادة والإحسان في دينهم ودنياهم؟ وما نصيب هذه الآيات والأحاديث في ثقافتهم وسلوكهم؟

التدين بين الإجادة والإساءة

في السنوات الأخيرة كثر الحديث عند المسلمين عن الإساءات الغربية المتكررة ضد الإسلام وشريعته، وضد رسوله وكتابه. فهناك الفيلم المسيء .. وهناك الرسوم المسيئة... وهناك الحملات المسيئة...

ولكن لِمَ لا نتحدث عن التدين المسيء للدين، وعن المتدينين المسيئين لدينهم بأنفسهم؟ فالمسلمون يسيئون إلى دينهم وإلى أنفسهم أضعافَ أضعافِ ما يأتيهم من إساءاتِ غيرهم.

الفقهاء والمحَدِّثون يذكرون في أبواب الصلاة حديثا نبويا يسمونه "حديث المسيئِ صلاتَه"، وها هو نص الحديث الشريف: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فدخل رجل، فصلى في ناحية المسجد، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه، ثم جاء فسلم فرد عليه وقال: " ارجع فصَلِّ، فإنك لم تصل"، فرجع فصلى، ثم جاء فسلم فرد عليه وقال: " ارجع فصل، فإنك لم تصل"، قال مرتين أو ثلاثا، فقال له في الثالثة أو في الرابعة: والذي بعثك بالحق، لقد أجهدتُ نفسي، فعلمني وأرني، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أردتَ أن تصلي فتوضأ فأحسن وضوءك، ثم استقبل القبلة، ثم كبر، ثم اقرأ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تطمئن قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم قم.. فإذا أتممت صلاتك على هذا فقد أتممتها، وما انتقصت من هذا من شيء، فإنما تنقصه من صلاتك".

على أن "المسيء صلاتَه" ليس فقط هو من ينقرها نقر الديك ولا يطمئن في شيء منها، بل "المسيء صلاتَه" هو أيضا من لا يخشع قلبُه فيها، ولا يتحسن خُلقه بها، ولا يتأدب بآدابها ولا يتأثر بنظامها، وهو أيضا من لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر. وفي الأثر الصحيح المشهور: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا".

وعلى هذا النحو نستطيع أن نرصد الكثير من الاختلالات والإساءات في الممارسات الدينية المجافية لحقيقة الدين ومقاصد التدين الصحيح. ونستطيع أن نتحدث عن المسيئين صيامَهم وحَجَّهم، وعن المسيئين زواجَهم وطلاقهم، عن المسيئين تربيةَ أبنائهم، وعن المسيئين بيعَهم وشراءهم، وعن المسيئين في أُخوتهم ووحدتهم، وفي جوارهم وقرابتهم وصداقتهم...

نحن مثلا عندما نقف على ما جاء في القرآن والسنة عن وحدة المسلمين وأخوتهم وتكاتفهم وتعاونهم، وما في ذلك من نهي ووعيد وتحذير من التباغض والتدابر والتفرق، ثم ننظر ما عليه واقع المسلمين: شعوبا وحكاما، ودعاة وعلماء، ومذاهب وحركات،

نرى كثيرا منهم قد عكسوا ذلك كله ونكَّسوه تنكيسا، وجعلوا التباغض والتفرق والصراع شعيرة من شعائرهم، وركنا من أركان تدينهم.

ومنذ نصف قرن أو أكثر ألَّفَ العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله كتابه القيم (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، ولكننا بحاجة – اليوم وقبل اليوم – إلى من يؤلف لنا كتابا بعنوان (ماذا يخسر الإسلام بانحطاط المسلمين)، أو: (ماذا يخسر المسلمون بسوء تدينهم). وإذا عرفنا ما في انحطاط سلوكنا ورداءة تديننا من خسائر فادحة على جميع الأصعدة، عرفنا بالمقابل ضخامة المكاسب والأرباح التي تفوتنا، بينما هي في متناول أيدينا.

وأعرض فيما يلي نموذجا يمكن الاعتبار به والقياس عليه، ويتعلق بتعامل المسلمين مع الوقت.

فكلنا نعلم ما جاء به الإسلام من تعظيم لقيمة الوقت ومن ضبط وترشيد لاستعماله، ومن وجوبٍ متشدد لأداء العبادات وسائر الواجبات في مواعيدها وأول أوقاتها. فماذا نربح وكم نربح حين تكون تلكم القيم والتوجيهات محترمة ومُتَّبعة في كل حياتنا وأعمالنا ومخططاتنا، وفي كل مواعيدنا وآجالنا؟

لكن السؤال الأكثر واقعية – للأسف – هو: كم نخسر وكم نتأخر ونتقهقر بسبب تأخراتنا وإخلالاتنا بمواعيدنا وآجالنا وهدر أوقاتنا؟؟

أنا أعتقد أن المدة الزمنية لتخلف المسلمين عن غيرهم من الدول المتقدمة اليوم – ولنفترض أنها قرن من الزمن – لن تكون أكثر من مجموع تأخرات دولهم وأفرادهم عن مواعيهم وآجال أعمالهم، لو أُحصيت وحُسبت بأيامها وساعاتها، وحتى بدقائقها.

وفي مثال آخر ومجال آخر، نجد عامة المسلمين – المتدينين وغير المتدينين – قد فقدوا الكثير مما جاء به الإسلام من العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، وإعطاء كل عمل حقه. وأصبح السائد عندهم، المعتاد في سلوكهم وكافة أعمالهم، هو بالضبط ما نُهوا عنه وحذروا منه، من ظلم وغش وبخس وتطفيف.

عندما هاجر النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون إلى المدينة المنورة، كان أهلُ المدينة (يثرب) معروفين بالغش والخداع في موازينهم ومكاييلهم، وخاصة في حق من

يأتونهم من أهل البوادي، فكان أولَ ما أنزله الله تعالى بعد الهجرة، قولُه في أول سورة المطففين: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: 1 – 6]. عندها استجابوا فاستقامت معاملاتهم وصلحت أحوالهم، ولم يكونوا كقوم شعيب الذين قال لهم نبيهم: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)،

فردوا عليه بعجرفة واستهزاء: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} [هود: 85 – 87].

نحن اليوم بين خيارين ونموذجين: أن نكون كأهل المدينة، الذي استجابوا للتحذير والتوجيه، فأصلحوا سلوكهم وحسنوا أحوالهم، وصاروا قدوة لغيرهم، أو نكون كقوم شعيب، الذين تمادوا في غشهم وتطفيفهم وظلمهم.

تجويد التدين أفضل خدمة للإسلام وللبشرية

تجويد التدين هو أولا وقبل كل شيء ربح وفوز لصاحبه. فالتدين المجوَّد الراشد معناه أولاً صحةُ العمل وقبولُه ونيلُه أعلى الدرجات. ومعناه النجاح الدنيوي والفلاح الأخروي...

ولكن القضية أكبر وأخطر. تجويد التدين – أو خلافُه – له آثار كبيرة ونتائج خطيرة على صورة الإسلام ومكانته. فمما لا شك أن سلوك المسلمين ونمط تدينهم، هو العنصر الأشد تأثيرا في تشكيل صورة الإسلام لدى الآخرين وموقفهم منه؛ قبولا أو رفضا، تقديرا أو احتقارا، ميلا أو نفورا... بل إن سلوك المسلمين ونمط تدينهم يحدد مقدار نصيبهم ونوعية إسهامهم في مسيرة الحضارة البشرية. فجودة تدينهم تدفع بالتحضر البشري إلى الأعلى، ورداءتُه تسهم في تقهقره وانحطاطه.

يمكن لأي واحد – مسلما أو غير مسلم – أن يتسامح ويلتمس للمسلمين أعذارا عديدة قد تشفع لهم في تخلفهم العلمي والصناعي والتكنولوجي والعمراني...

ويمكن لأي أمة – أو أمم – أخرى أن تقوم مقام المسلمين وتغْني عنهم وتحوز الريادة في هذه المجالات. لكنْ لا أحد يعرف حقيقة الإسلام، ثم يمكنه أن يجد للمسلمين عذرا أو شبه عذر في انحطاطهم الديني والخلقي والسلوكي والاجتماعي. ولا توجد أمة يمكن أن تقوم مقامهم وأن تغْني عنهم في هذه المجالات.

إن رداءة التدين وسوء التدين لدى غالبية المسلمين، يجعل الصورة الحقيقية للإسلام شبهَ غائبة أمام أنظار العالم، ويجعل صورته المشوَّهة المنفِّرة هي الحاضرة الظاهرة، وهي المعتمدة عنه لدى شعوب الأرض.

لقد تحدث العلامة ابن عاشور عن حفظ الشريعة للمصالح بجميع مراتبها. ولما وصل إلى الحديث عن أدنى تلك المراتب عرَّفها بقوله: "والمصالح التحسينية: هي عندي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها، حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجةُ منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبا في الاندماج فيها أو في التقرب منها"[1].

فهل هذه الأوصاف والمزايا الشيقة الجذابة متحققة ظاهرة في المشهد الإسلامي اليوم؟ أم أن عكسها هو ما يصدم الناظر ويُنَفِّره؟

صحيح أن المشهد الإسلامي الممتلئ بالرداءة والإساءة، لا يمنع كثيرا من الناس من معرفة الإسلام والدخول فيه، إما بفضل جهودهم الذاتية في البحث والدراسة والتعرف على حقيقة الإسلام من غير واسطة المسلمين، وإما من خلال المسلمين الذين جوَّدوا تدينهم وشرَّفوا دينهم.

ولكن ماذا لو كان المشهد الإسلامي في عمومه مملوءا بالجودة والإحسان والبهجة؟ ماذا لو كان المشهد الإسلامي العام مليئا بالعبادات الواعية المثمرة، والمعاملات المستقيمة الجذابة، وبالعادات الكريمة المتحضرة، والأخلاق الراقية والآداب الزاهية؟ أليست هذه أعظم خدمة يمكن تقديمها للإسلام، وأعظم هدية يمكن تقديمها للبشرية؟

[1] – مقاصد الشريعة الإسلامية، ص92

ماذا لو كانت أحوال المسلمين تجسد وتعكس ما وصف به ابنُ القيم الشريعةَ في قوله: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله – صلى الله عليه وسلم – أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل"[1].

إن علماء الإسلام ودعاتَه وجميعَ العاملين له – أفرادا وحركاتٍ – مدعوون لكي يجعلوا من قضية تجويد التدين وتنقيته وترقيته أَولى أولوياتهم، باعتباره الجهادَ الأكبر الأنفع، والطريقَ الأقصر الأسرع.

وختاما أحب أن أنوه ببعض النماذج التي انتبهت إلى مسألة ترشيد التدين وتجويده وبدأت تضعها موضع العناية العملية. بنموذجين يسيران في اتجاه التصحيح والترشيد لمفهوم التدين وثقافته ونمط ممارسته، وهما ينبئان عن ظهور وعي متزايد بمسألتنا لدى بعض العاملين الإسلاميين في حقل الدعوة والإصلاح والنهضة.

- النموذج الأول: (مشروع تعظيم البلد الحرام)، الذي يقوم عليه ثلة من الصالحين المصلحين بمكة المكرمة.

فهذا المشروع وإن كان يتمحور حول فكرة محددة وبقعة معينة، فإني – بحسب ما قرأت عنه وسمعت من توضيحات القائمين عليه – وجدت فيه سمتين عظيمتين:

الأولى: تتمثل في الرؤية الفكرية التجديدية التي تؤطر هذا المشروع وترسم له أفقا رحبا ساميا.

– من ذلك قولهم: "يتطلع مشروع تعظيم البلد الحرام إلى تأصيل معنى تعظيم مكة المكرمة في قلوب المسلمين المقيمين في مكة والوافدين إليها لتبقى بلدًا آمنًا،

[1] – أعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 11)

وليكون مجتمعها مثالاً يُحتذى في الحفاظ على الأرواح والأموال والأعراض، وحسن التعامل مع الآخرين، والعناية ببيئتهم، وتطهيرها وإعمارها".

– ومن ذلك منظومة القيم السلوكية المعتمدة في المشروع، وهي: مقسمة إلى ثلاثة مسارات:

المسار الأول: قيم السكنى والجوار.

– قيمة تقديس البلد الحرام.

– قيمة استشعار النعمة بسكنى البلد الحرام.

– قيمة زيادة العزيمة لفعل الخير في البلد الحرام.

– قيمة الحرص على السكن والجوار المقدس.

– قيمة التعاون لتكون مكة أفضل بيئة في مدلول الطهارة وعمارة الأرض.

المسار الثاني: قيم التعامل والاستقبال.

– قيمة القيام بحق جيران بيت الله الحرام.

– قيمة حسن الاستقبال لوافد بيت الله الحرام.

– قيمة حسن التعامل مع الوافد لبيت الله الحرام.

– قيمة الشعور بأنه ممثل لأهل هذه البلاد وأهل الإسلام عند الوافدين إلى مكة.

– قيمة التعاون لتكون مكة أفضل بيئة معينة على الآداب الفاضلة والسلوك الحسن.

المسار الثالث: قيم التربية والتعليم.

– قيمة التضحية في بذل العلماء والمربين لوقتهم في غرس شعور التعظيم في نفس مجاور البيت الحرام والوافد إليه.

– قيمة بذل الوقت في تعلم فضائل الحرم والتربية عليه بالقدوة الحسنة والنصح، والتقويم وفق الكتاب والسنة.

– قيمة العزيمة على تميز شخصية المسلم في البلد الحرام من خلال أبعاد المشروع الحضارية.

وأما أبعاد هذا المشروع فهي أيضا موزعة كما يلي:

البعد الديني:

– الاقتداء بسنة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في تعظيم هذه البلدة.

– تحقيق أمر الله لسكان الحرم والوافدين إليه بتعظيم الحرم.

- **السلامة للأمة من العقوبة العامة والآفات والنكبات.**

– تحصيل الأمن لأهل البلدة وأهل الجزيرة والعالم بتحقيق تعظيم البلد الحرام.

البعد الوطني:

– إحياء حسن الانتماء لبلاد الحرمين من خلال تعظيم أقدس بقعة في هذا الوطن.

– غرس الشعور بأهمية الحرص على مصلحة البلد الحرام باعتباره بلدًا مقدّسًا، وإزالة مظاهر سوء التعامل مع الممتلكات العامة فيه.

– اعتبار مكة واجهة دينية ذات بعد حضاري مميز تعكس صورة المملكة العربية السعودية كاملة، ومن ثَم التصرف وفق هذه الصورة من خلال التعامل مع الآخرين.

– إزالة المخالفات النظامية أو تخفيفها في المرور والسلامة والعمران والعمالة، حرصًا على صحة المُوَاطنة في البلد الحرام، فارتكاب المخالفات أشد جُرْمًا وأعظم خطرًا في بلد الله الحرام.

– التعاون مع المشاريع التنموية من قبل مُلاّك العقار ورؤوس الأموال خدمة للبلد الحرام.

– زيادة العطاء والتفاعل لدى جميع العاملين في مكة المكرمة، وأن عملهم هو محافظة على حضارة وقيمة دينية عظمى.

البعد الأمني:

– توضيح عظم الجريمة في البلد الحرام .

– إحياء الشعور لدى رجال الأمن بأنهم حراس الكعبة.

– حقيق التعاون مع الجهات المختلفة في التصدي لمن ينتهك حرمة الحرم.

البعد الاجتماعي:

– إبراز تاريخ أهل مكة في تعظيم البلد الحرام.

– إزالة العادات التي تشوه صورة المجتمع المكي لدى الوافدين إلى مكة المكرمة.

– إيجاد تكاتف عام تحت شعار: وطن واحد، وبلد واحد، وقبلة واحدة.

– إيجاد توجه خاص نحو دعم الجمعيات ومشاريع رعاية الأيتام وغيرهم.

– إحياء حقوق الجوار في بلد الجوار.

– توجيه المجتمع نحو البناء النافع للبلد ولساكنيه وللوافدين إليه.

– تخفيف كثير من النزاعات وعدم شَغْل الجهات الحكومية بكثير منها.

– إحياء الحياة الاجتماعية التي تميز بها أهل مكة عبر تاريخهم في خدمة ضيوف الرحمن والوافدين لبلد الله الحرام.

البعد الإعلامي:

– نشر رسالة عالمية عن مكة المكرمة.

– إيضاح التميز الخاص في التعامل مع زوار الحرم ورفع مستوى الخدمة.

– إبراز فعاليات مميزة لجعل مكة مدينة ذات بُعْد حضاري متميز.

– تقديم تجربة حية لبقية المناطق في إحياء الشعور بالولاء لبلاد الحرمين.

– إبراز فعاليات استقبال الحجاج في وسائل الإعلام العالمية ممّا يُعْطي انطباعًا عن الترتيبات الرائعة لإدارات مكة المكرمة في مواسم الحج والعمرة.

– تقديم صورة إعلامية عن تميز البيئة الاقتصادية للمستثمرين من خارج مكة مما يقوي المشاريع التي تدعم التنمية الوطنية.[1]

الميزة الثانية لهذا المشروع هي: أنه مشروع عملي تطبيقي، وليس مجرد نشاط دعوي ثقافي، بل هو مجموعة من المشاريع العملية التطبيقية المتنوعة. وهذه المشاريع ليست منحصرة في خدمة البلد الحرام والوافدين عليه من حجاج ومعتمرين وزوار، بل هي مشاريع تسري وتتغلغل في شعاب مكة، وتدخل بيوتها وقلوب أهلها، وتعتني بنسائها

[1] – الموقع الرسمي للمشروع: **http://makkah.org.sa/site**

وشبابها، لتعيد تشكيل عقلية الناس وسلوكهم ونمط تدينهم[1]. وهذا هو بيت القصيد عندي.

- النموذج الثاني: ترشيد التدين عند حركة التوحيد والإصلاح بالمغرب.

تنص هذه الحركة في وثائقها وتوجيهاتها على أن من أولوياتها العمل على "ترشيد التدين"، أي الانتقال به من التوسيع الكمي إلى الارتقاء الكيفي. ذلك أن نشر التدين وتوسيع قاعدته في المجتمع تتولاه جهات دعوية عديدة؛ رسمية وشعبية، فردية وجماعية. لكن فكرة الترشيد والتجويد قل من يركز عليها ويعطيها من العناية ما تحتاجه وتستحقه. فلذلك كثيرا ما نجد مظاهر التدين تتسع، ولكنها قد تعكس تدينا رديئا، أو يزداد رداءة بقدر ما يتسع أفقيا. من هنا جعلت الحركة من العناية بتحسين مستوى التدين ومردوديته إحدى أولوياتها الرئيسية[2].

- النموذج الثالث: المركز الذي أسسه العلامة الشيخ عبد الله بن بَيَّهْ منذ بضع سنوات بلندن، وهو: "المركز العالمي للترشيد والتجديد". وواضح من اسمه التركيز على الترشيد بجانب التجديد. وقد جاء في التعريف بهذا المركز ومبادئه وأهدافه ما يزيد الأمر تجلية. من ذلك:

– "يساهم في صياغة فكر متصالح ومساهم، مستنبط من نصوص الوحي ومقاصد الشارع وقيم الإسلام وتراث الأمة، بصياغة معاصرة عقلانية متفاعلة ومتعاملة مع إشكالات العولمة وطروحات الحداثة...

[1] – يمكن إلقاء نظرة على تلك المشاريع من خلال الموقع الإلكتروني الرئيسي للمشروع والمواقع الفرعية له. انظر الرابط: http://makkah.org.sa/site

[2] – انظر مقال عزيزة الزعلي (الإسهام في ترشيد التدين من أولويات حركة التوحيد والإصلاح)، منشور بجريدة التجديد التي تصدرها الحركة، عدد2011/1/4

– يسعى المركز إلى الاعتدال والوسطية والحكمة في الرأي... ويناقش كل الأمور التي تخص الإنسان المسلم أينما كان، ونساعد البشرية بحلولنا العملية، ونسعى إلى إصلاح الأفكار والتصورات، ومن ثم إصلاح الممارسات المبنية عليها...

– إن المركز سيحاول تجلية قيم الشريعة في التسامح والعدل والشورى والتواصل، مسلطا الاجتهاد على الرابط الواصب بين الزمان الحاضر وبين الشريعة نصوصا ومقاصد وأصولا وقواعد، انطلاقا من مبدأي العقلانية والمصلحة. متعاملا مع مختلف القضايا التي تقررها العولمة كمشكلة العنف والإرهاب، ومسألة تمكين المرأة، والديموقراطية والشورى، وحقوق الإنسان...".

الفهرس

تقديم

الفصل الأول: تجديد الدين

- **الدين بين الاندثار والازدهار**
- **حديث التجديد**
- **من قضايا التجديد**

الفصل الثاني: تجويد التدين

- **من تجويد التلاوة إلى تجويد التدين**
- **التدين بين الإجادة والإساءة**
- **تجويد التدين أفضل خدمة للإسلام وللبشرية**